مناسبات شهر ربيع الآخر

١/ربيع٢/٦٥ هجرية

* ثورة التوابين طلباً بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

٢/ع ٢/ ٢٠ هجرية

* وفاة بلال الحبشيّ مؤذّن الرسول صلى الله عليه وآله.

٨/ع ٢/٢٣٢ هجرية

* مولد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بالمدينة المنوّرة، وعلى قول في اليوم العاشر.

٨/ع ٢/ ١١ هجرية

* شهادة السيّدة الزهراء عليها السلام على رواية أنّها عاشت ٤٠ يوماً بعد أبيها صلى الله عليه وآله.

٩/ع ٢/٢٠١ هجرية

* وفاة السيّدة فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم عليهما السلام في مدينة قم.

١٢/ع ١/ ٢ هجرية

* فرضُ صلاة الحضر والسفر.

١٤/ع ٢/٦٦ هجرية

* ثورة المختار الثقفيّ طلباً بثأر الامام الحسين عليه السلام.

٢٠/ع ٢/ ٥ هجرية

* رجوع النبيّ صلى الله عليه وآله منتصراً من دومة الجندل.

٢٢/ع ٢/٢٩٦ هجرية

* وفاة السيّد موسى المبرقع ابن الإمام محمّد الجواد عليه السلام بقم، وقيل في ٨ ربيع الآخر.

٢٥/ع ٢/ ٦٤ هجرية

* تنازل معاوية بن يزيد بن معاوية عن المُلك، وفي رواية أنّه مات في هذا اليوم.

أبرز المناسبات

اليوم العشرون

رجوعُ النبيّ صلى الله عليه وآله مُنتصراً من دَومة الجندل.

دومة الجندل: هي بلدة بينها وبين دمشق خمسُ ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة، بقرب تبوك وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة، وهي التي تُسمّى اليوم الجوف. بلغ النبيَّ صلى الله عليه وآله أنّ بها جمعاً كثيراً يظلمون من مرّ بهم، وأنّهم يريدون أن يَدنوا من المدينة، فخرج إليهم لخمس ليالٍ بقين من ربيع الأوّل في ألفٍ من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار، ومعه دليلٌ من بني عذرة اسمُه «مذكور»، فلمّا دنا منهم إذا آثارُ النِعم والشاء، فهجم على ماشيتِهم ورُعاتهم فأصاب مَن أصاب وهرب من هرب، وجاء الخبر أهلَ دومة فتفرّقوا، ونزل بساحتهم فلم يجد بها أحداً، وبثّ السرايا فرجعت ولم تُصب أحداً، وجاءت كلُّ سريّة بإبل، وأخذ منهم رجلاً فسأله عنهم، فقال هربوا حيث سمعوا أنّك أخذتَ نِعَمَهم، فعرض عليه الإسلامَ فأسلَم، ورجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة ودخلها لعشرٍ بقين من ربيع الآخر.

اليوم الثامن

شهادة السيدة الزهراء عليها السلام على رواية أنّها عاشت ٤٠ يوما بعد أبيها صلى الله عليه وآله.

* عن (فضائل الصحابة) للنسائي عن المسّور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «..**فاطمة بضعة منّي يُريبني ما أرابها ويُؤذيني ما آذاها**». وعنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**إنّ فاطمة بضعة منّي، مَن أغضبها أغضبني**».

* وفي (فيض القدير) للمناوي نقلاً عن ابن حجر: «وفيه [أي في حديث يؤذيني ما آذاها] تحريم أذى من يتأذّى المصطفى صلى الله عليه وآله بتأذّيه، فكلُّ من وقع منه في حقّ فاطمة شيءٌ فتأذّت به، فالنبيّ صلّى الله عليه وعلى آله يتأذّى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قِبل وُلدها، ولهذا عُرف بالاستقراء معاجلةُ من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشدّ».

* وفي (كشف الغمّة) للأربلي، أنّها عليها السلام بقيت بعد أبيها أربعين صباحاً، ولمّا حضرتها الوفاة قالت لأسماء: إنّ جبرئيل أتى النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا حضرته الوفاة بكافور من الجنّة فقسّمه أثلاثاً؛ ثلُثاً لنفسه، وثلثاً لعليّ، وثلثاً لي. وكان أربعين درهماً، فقالت: يا أسماء ائتيني ببقيّة حنوط والدي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي. فوضعته، ثمّ تسجّت بثوبها وقالت: انتظريني هنيهةً وادعيني، فان أجبتُك وإلّا فاعلمي أنّي قد قدِمت على أبي صلى الله عليه وآله. فانتظرَتْها هنيهةً ثمّ نادتها فلم تُجبها، فنادت: يا بنت محمّدٍ المصطفى! يا بنت أكرم من حملتْه النساء! يا بنت خير من وطىء الحصى! يا بنت من كان من ربّه قاب قوسين أو أدنى! قال: فلم تُجبها، فكشفت الثوب عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبّلها وهي تقول: فاطمة! إذا قدمتِ على أبيك رسول الله فأقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام ..

* وفي (روضة الواعظين) للنيسابوري أنّ فاطمة قالت لعليٍّ عليه السلام: «**أُوصيك أن لا يشهد أحدٌ جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقّي، فإنهم أعدائي وأعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن لا يصلّي عليّ أحدٌ منهم، ولا من أتباعهم، وادفنّي في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار**». ثمّ توفّيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فصاح أهل المدينة صيحةً واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها..

* وفي (كشف الغمّة): ..وقال عليّ عليه السلام عند دفن فاطمة عليها السلام كالمُناجي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره: «**السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعةِ اللّحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فُرقتك وفادح مصيبتك موضعُ تعزّ، فلقد وسّدتُك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسُك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلقد استُرجعت الوديعة وأُخذت الرهينة، أمّا حزني فسرمد وأما ليلي فمُسهّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مُقيم، وستُنبئك ابنتُك فاحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطُل العهد ولم يَخلُق الذكر، والسلام عليكما سلام مُودِّعٍ لا قالٍ ولا سئم، فإنْ أنصرفْ فلا عن ملالة، وإنْ أُقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد اللهُ الصابرين**».

اليوم الثامن

مولد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام بالمدينة المنورة سنة ٢٣٢ للهجرة، وعلى قولٍ في اليوم العاشر منه.

* عاصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام ثلاثة من ملوك بني العبّاس؛ المعتزّ والمهتدي والمعتمد. وكانت أيّامه أيام شدّة وضيق وخوف، ومع ذلك، أُخذ عنه من العلوم الشيء الكثير. قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان - وكان من أعوان السلطان - وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام: «ما رأيت ولا عرفت بسرّ من رأى رجلاً من العلوّية مثل الحسن بن علي بن محمّد بن الرضا، ولا سمعت به في هَدْيه وسكونه وعفافه، ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيّاه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك القوّاد والوزراء والكتّاب وعوامّ الناس، وما سألتُ عنه أحداً من بني هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس، إلّا وجدتُه عندهم في غاية الإجلال والإعظام، والمحلّ الرفيع والقول الجميل، والتقديمِ له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، ولم أرَ له وليّاً ولا عدوّاً إلا وهو يُحسن القولَ فيه والثناء عليه».

وقال أبوه، عبيد الله بن خاقان - وكان من وزراء المعتمد العباسي - : «لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العبّاس، ما استحقّها أحدٌ من بني هاشم غيره (الامام العسكري عليه السلام)، في فضله وعفافه وهَديه، وصيانة نفسه وزهده وعبادته، وجميل أخلاقه وصلاحه»، والفضلُ ما شهدت به الأعداء.

* جاء في وصفه عليه السلام أنّه بين السُمرة والبياض، ووَصَفه أحمد بن عبيد الله بأنّه رجلٌ أسمر أعْيَن، حسن القامة جميل الوجه جيّد البدن، له جلالةٌ وهيبة.

*** ومن عيون ما رُوي عنه صلوات الله عليه: إدفع المسألة ما وجدت التحمُّلَ يُمكِنُك، فإنّ لكلِّ يومٍ رزقاً جديداً. واعلم أنّ الإلحاح في المطالب يسلب البهاء، ويُورث التعبَ والعناء، فاصبر حتّى يفتح الله لك باباً يسهل الدخول فيه، فما أقرب الصنيعَ من الملهوف، والأمن من الهارب المَخوف، فرُبّما كانت الغير نوعاً من أدب الله، والحظوظُ مراتب، فلا تعجَل على ثمرةٍ لم تُدرك، وإنّما تنالها في أوانها، واعلم أنّ المدبِّر لك أعلمُ بالوقت الذي يصلُحُ حالُك فيه، فثِقْ بخِيَرَته في جميع أمورك يصلُح حالك، ولا تعجل بحوائجك قبل وقتها، فيضيق قلبُك وصدرُك ويغشاك القنوط، واعلم أنّ للسخاء مقداراً، فإنْ زاد عليه فهو سرف، وأنّ للحزم مقداراً، فإنْ زاد عليه فهو تَهوُّر، واحذر كلَّ ذكيٍّ ساكنِ الطرف، ولو عقل أهلُ الدنيا خربت.**

اليوم التاسع

وفاة السيّدة فاطمة المعصومة بنت الامام الكاظم عليهما السلام في مدينة قم سنة ٢٠١ للهجرة.

*** من كرامات السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام:**

* نُقل عن المرحوم المرجع الديني السيّد المرعشيّ النجفيّ: «أرِقتُ ليلةً من ليالي الشتاء القارس، ففكّرت في الذهاب إلى حرم السيّدة المعصومة لزيارتها. ثمّ إنّي فطنتُ إلى أنّ الوقت لا يزال مبكّراً، وما تزال أبواب الصحن الشريف مغلقة. فعُدتُ أحاول النوم واضعاً يدي تحت رأسي، خشيةَ أن أستغرق في نومٍ عميق، فشاهدتُ في عالم الرؤيا السيّدة المعصومة سلام الله عليها وهي تهتف بي: إنهض وتعالَ إلى الحرم فأدرِكْ زوّاري الواقفين خلف أبواب الصحن، فإنّهم أشرفوا على الهلاك من شدّة البرد!

قال السيّد: نهضت وارتديت ملابسي على عجل، وأسرعت إلى الصحن الشريف، فشاهدتُ مجموعة من الزوّار الباكستانيين بملابسهم المحليّة الخاصّة وهم في حالة يُرثى لها، يرتجفون خلف باب الصحن من شدّة البرد. طرقتُ الباب، فعرفني أحدُ خدّام الحرم - واسمه الحاج حبيب - ففتح الباب، فوردتُ الصحن مع أُولئك الزوّار الذين هرعوا لزيارة السيدة، في حين توضّأت أنا وانصرفت إلى أداء الصلاة والزيارة».

* كما نُقل عن والده المرحوم السيّد محمود المرعشيّ النجفيّ صاحب كتاب (مُشَجّرات العلويّين) أنّه كان يتلهّف لمعرفة موضع القبر الشريف للصدّيقة الزهراء عليها السلام، فاختار - للوصول إلى غايته - خَتْماً مُجرّباً استمرّ على أدائه أربعين يوماً، عسى أن يَمُنّ الله عليه بمعرفة موضع القبر المجهول. وانتهت الأيّام الأربعون المشحونة بالدعاء والتوسّل، فشاهد في عالم الرؤيا الإمامَ الباقر أو الصادق عليهما السلام، فقال الإمام له: عليك بكريمة أهل البيت!

أجاب السيّد المرعشي - ظنّاً منه أنّ الإمام يُوصيه بقصد الصدّيقة الزهراء عليها السلام - : نعم جُعلتُ فِداك، فلقد أتممتُ هذا الختم لأعرف موضع قبرها على وجه الدقّة، لأتشرّف بزيارتها.

قال الإمام عليه السّلام: أُقصُد القبر الشريف للمعصومة في قم. وأضاف: لقد شاء الله سبحانه لحكمةٍ أن يظلّ القبرُ الطاهر للزهراء البتول عليها السّلام مجهولاً، فجُعل قبر المعصومة موضعَ تجلٍّ لقبر الصدّيقة، وأفاض عليه من الجلال والجبروت ما كان سيُقدّره لقبر الصدّيقة عليها السلام لو كان ظاهراً ماثلاً.

انتبهَ السيّد المرعشيّ من النوم، فأمر عائلته بالاستعداد للسفر لزيارة السيّدة المعصومة عليها السلام.

اليوم الثاني والعشرون

وفاة السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام في قم سنة ٢٩٦ للهجرة. وقيل في ٨ ربيع الآخر.

* هو أخُ الإمام عليّ الهادي عليه السلام من طرفَي الأب والأُم، وأُمّهما هي السيّدة سُمانة المغربيّة سلام الله عليها. عاش مع أبيه الإمام محمّد الجواد عليه السلام في المدينة المنوّرة مدّة حياته، وبعد استشهاد أبيه انتقل إلى الكوفة وسكن بها مدّة.

* كان يَسدل على وجهه بُرقُعاً دائماً، لِما قيل من أنّه كان حسن الوجه، جميل الصورة، وكان الناس - رجالاً ونساءً - يُطيلون النظر إليه، انبهاراً بجماله، ويزدحمون في الطُرق والأسواق لانشدادهم إليه، فكان - عليه السلام - يتضايق من هذا الأمر، ولهذا ستر وجهه ببُرقع حتى يستريح من كثرة نظر الناس إليه. وقيل إنّ ارتداءه للبُرقع أيضاً لأسباب أمنيّة، ولظروف عصيبة مرّت عليه، وخوفاً من شرار بني العبّاس الذين كانوا يترصّدون للعلويّين، ولأبناء أهل البيت سلام الله تعالى عليهم أجمعين.

* خروجه من المدينة المنوّرة: كان خروجه من المدينة إلى الكوفة بعد خروج أخيه الإمام الهادي عليه السلام إلى سُرَّ من رأى، وذلك في مطلع شبابه، ثم تركها إلى قم سنة مئتين وستّ وخمسين، أي بعد وفاة أخيه الهادي بسنتين، إلّا أنّه لم يستقرّ في قم بسبب بعض جُهّالها الذين أمروه بالخروج منها، فرحل إلى كاشان واستقبله هناك أحمد بن عبد العزيز بن دلف العجلي، فأكرمه وأنزله مقاماً جميلاً. وبعد ذلك، فإنّ أهالي قم قد أصابهم الندم على فعلتهم القبيحة تلك، فذهبوا إلى كاشان معتذرين ممّا صدر من بعضهم، وأصرّوا على مجيء أبي جعفر موسى المبرقع إلى قم ثانية، فحملوه معزّزاً مكرّماً إليها، ثمّ أتته أخواته زينب، وأم محمّد، وميمونة؛ بناتُ الإمام الجواد عليه السلام، ونزلنَ عنده، فلما مُتن دُفِنَّ عند السيدة المعصومة فاطمة بنت موسى الكاظم عليهما السلام، وأقام موسى المُبرقع بقم حتى مات ليلة الأربعاء لثمان ليالٍ بقين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين، ودُفن في داره وهو المشهد المعروف اليوم.

قال المرجع الديني الشيخ بهجت قدس سره: إنّ من يحضر لزيارة موسى المُبرقع يكون تحت عناية أهل البيت والإمام الجواد عليهم السلام، وتحت عناية الإمام المهديّ عجل الله فرجه. إنّ التوسّل له منفعة كثيرة، توسّلوا بأبناء الأئمّة وزوروهم كثيراً، إنّ هؤلاء العظماء كالفاكهة، كلُّ واحد منهم له (فيتامينات) خاصة. كلُّ واحد منهم له خواصّ وآثار خاصة. من الكرامات عند الشيعة، قبورُ ومزارات أبناء وأحفاد الأئمّة عليهم السلام، ولهذا لا تغفلوا عن زيارتهم ولا تحرموا أنفسكم.

اليوم الرابع عشر

خروج المختار الثقفي للأخذ بثار الامام الحسين عليه السلام سنة ٦٦ للهجرة.

* هو المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ، كان عمّه والياً على المدائن من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام، فأقام مع عمّه، ورحل بعد ذلك إلى المدينة، وكان يُجالس محمد ابن الحنفية ويأخذ منه الأحاديث، ثم رجع إلى الكوفة. أُلقي القبض عليه وأُودع السجن بعد شهادة مسلم بن عقيل، وكان معه في السجن ميثم التمّار الذي حدّثه بما سيكون منه في مستقبل عمره من قتل المجرمين قَتَلةِ الحسين عليه السلام والأخذ بثأره (استنادا إلى إخبار أمير المؤمنين عليه السلام لميثم بذلك). وتشفّع - لاحقاً -عبد الله بن عمر لإخراج المختار من السجن، وكان عبد الله زوجاً لأخت المختار، فقُبِلَت شفاعته وأُخرج من السجن.

وكان المختار يصرّح بأنّه الآخذ بثأر الحسين عليه السلام، ويتحدّث بذلك أمام الناس بعد وقعة كربلاء، حتّى وصل خبرُه إلى مسامع الحجّاج والي الأُمويّين على العراق، فأخذه وحبسه وحاول قتله مراراً ولكنّه لم يستطع لذلك سبيلاً. وكان الإمام السجّاد عليه السلام يتحدّث بذلك لخواصّه، فسألوه مرّة: يا ابن رسول الله إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ذَكر من أمر المختار ولم يقل متى يكون قتله لمن يَقتُل؟ فقال علي بن الحسين عليه السلام: «**صدق أمير المؤمنين، أوَلا أُخبرُكم متى يكون؟**» قالوا: بلى. قال: «**يوم كذا إلى ثلاث سنين من قولي هذا. وسيُؤتى برأس عبيدُ الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن في يوم كذا وكذا...**».

فلمّا كان ذلك اليوم أُتي بالرأسَين وقد فرغ من صلاته. فلمّا رآهما سجد وقال: «**الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً**».

اليوم الثاني

وفاة بلال الحبشيّ مؤذّن الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٢٠ للهجرة.

جاء في (السيرة النبويّة) لابن كثير: «.. بلال بن رباح الحبشيّ. وُلد بمكّة، وكان مولىً لأُميّة بن خلَف ".." وكان أُميّة يُعذّبه عذاباً شديداً ليرتدّ عن الإسلام، فيأبى إلّا الإسلام رضي الله عنه ".." وهاجر حين هاجر الناس، وشهد بدراً وأُحُداً وما بعدهما من المشاهد.. وكان يُعرف ببلال بن حمامة وهي أمّه ".." قال الواقدي: مات بدمشق سنة عشرين وله بضعٌ وستّون سنة».

وفي (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق: «رُوي أنّه لمّا قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله، امتنع بلال من الأذان وقال: لا أؤذّن لأَحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وإنّ فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم: "**إنّي أشتهي أن أسمع صوت مؤذّن أبي عليه السلام بالأذان**". فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الأذان، فلمّا قال: "الله أكبر الله أكبر"، ذكرت أباها عليه السلام وأيّامه، فلم تتمالك من البكاء، فلمّا بلغ إلى قوله: "أشهد أنّ محمّداً رسول الله" شهقت فاطمة عليها السلام شهقةً وسقطت لوجهها وغُشي عليها، فقال الناس لبلال: أَمْسِك يا بلال، فقد فارقت ابنةُ رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، وظنّوا أنّها قد ماتت، فقطع أذانه ولم يُتمّه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتمّ الأذان فلم يفعل، وقال لها: يا سيّدة النسوان إنّي أخشى عليك ممّا تُنزلينه بنفسك إذا سمعتِ صوتي بالأذان، فأعفته عن ذلك».

اليوم الخامس والعشرون

تنازُل معاوية بن يزيد بن معاوية عن الحكم سنة ٦٤ للهجرة. وفي رواية أنه توفّي في هذا اليوم.

في (تاريخ اليعقوبي): «..ثمّ ملك معاويةُ بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وقيل بل أربعة أشهر، وكان له مذهبٌ جميل، فخطب الناس فقال: أيّها الناس! فإنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا، فما نجهل كراهتَكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإنّ جدّي معاوية ابن أبي سفيان نازع الأمر مَن كان أولى به منه في القرابة برسول الله وأحقّ في الإسلام، سابِقَ المسلمين وأولّ المؤمنين، وابن عمّ رسول ربِّ العالمين، وأبا بقيّة خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتّى أتتْهُ منيّتُه وصار رهناً بعمله، ثم قلّد أبي وكان غيرَ خليقٍ للخير، فركب هواه واستحسن خطأه وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل وقصّر عنه الأجل، فقلّت مِنعتُه وانقطعت مدّته وصار في حُفرته، رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه، ثم بكى وقال: إنّ أعظم الأمور علينا علمُنا بسوءِ مصرعِه وقُبحِ مُنقلبه، وقد قتلَ عترةَ الرسول، وأباح الحُرمة وحرق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظّاً، وإن تكن شرّاً، فحسْبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منها..».

* وفي (حياة الحيوان) للدميري: «ثمّ إنّ بني أميّة قالوا لمؤدّب معاوية بن يزيد عمر المعقوص: أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه، وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حبَّ عليٍّ وأولاده.. فقال: والله ما فعلتُه، ولكنّه مجبولٌ ومطبوعٌ على حبِّ عليٍّ، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه [المؤدّب] ودفنوه حيّاً حتّى مات..».

الإمام الحادي عشر: الحسن العسكريّ عليه السلام
المشهد السياسي، الثقافي، والإجتماعي في عصره

وُلد الإمام أبو محمّد الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام في الثّامن من ربيع الآخر سنة (٢٣٢ هجريّة/٨٤٦م) بالمدينة المنوّرة، وهي السّنة التي توفّي فيها الواثق العبّاسيّ، وعاصر من الحكّام العباسيين: المتوكّل (ت٢٤٧ هجريّة/٨٦١م)، والمنتصر (ت ٢٤٨ هجريّة/٨٦٢م)، والمستعين (ت ٢٥٢ هجريّة/٨٦٦م)، والمعتزّ (ت ٢٥٥ هجريّة/٨٦٩م)، والمهتدي (ت٢٥٦ هجريّة/٨٧٠م)، والمعتمد (ت ٢٧٩ هجريّة/٨٩٢م). استُشهد بسُمٍّ دُسَّ له في خلافة المعتمد، في الثامن من ربيع الأوّل سنة (٢٦٠ هجريّة/٨٧٣م)، فيكون عمره الشريف تسعاً وعشرين سنة. كان مقامه مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة وأشهراً، وبقي بعده خمس سنين وشهوراً، ومدفنه بسامراء.

عصر الإمام العسكريّ

يُجمع المؤرخون على أنّ عصر المتوكّل حمل بذور الوهن والضّعف للحكم العبّاسي، فبدأت مرحلة الانحدار السياسيّ والأمني في الحاضرة العباسيّة، وانتهت مرحلة الانفتاح والمناظرات الفكريّة والامتزاج الثقافيّ التي سادت في مراحل سابقة.

وإذ عُرف عن المتوكّل حبّه للعمران، إلاّ أنّه أنفق أموالاً طائلة من خزينة الدّولة لبناء قصوره، وللذّاته الشخصيّة، كما أنفق منها الكثير على قوّاده وحاشيته، ما جعل التّوازن الاقتصاديّ والاجتماعيّ يختلّ، حيث ظهرت طبقة الأغنياء والميسورين مقابل طبقة الفقراء والمحرومين.

وعلى المستوى السّياسيّ، كان المتوكّل شديداً على خصومه، وتحديداً على الطّالبيّين، فلم يتورّع عن هدم مشهد الإمام الحسين عليه السلام، حتى كتب أهل بغداد شتمَه على الحيطان والمساجد.

وكان عهدُه عهدَ الفتن والاغتيالات، والاضطرابات السيّاسيّة والأمنيّة، ولقد سام بنو العبّاس خصومهم أشدَّ أنواع العذاب، حتى انتقلت عدوى القتل إليهم، فقُتل المتوكّل ثمّ المنتصر، ثمّ المستعين، ثمّ المعتزّ، ثمّ المهتدي، ثمّ المعتمد الذي حكم أكثر من هؤلاء جميعاً.

الإمام وشيعته

كان الشّيعة زمن الإمام العسكريّ عليه السلام بين مُغالٍ ومستهترٍ وسائرٍ على صراط مستقيم، فحارب الإمام المغالين، وأيقظ المستهترين ونبّههم، واهتمّ بالمُخلصين الذين أودعهم أسرارَه وهيّأهم

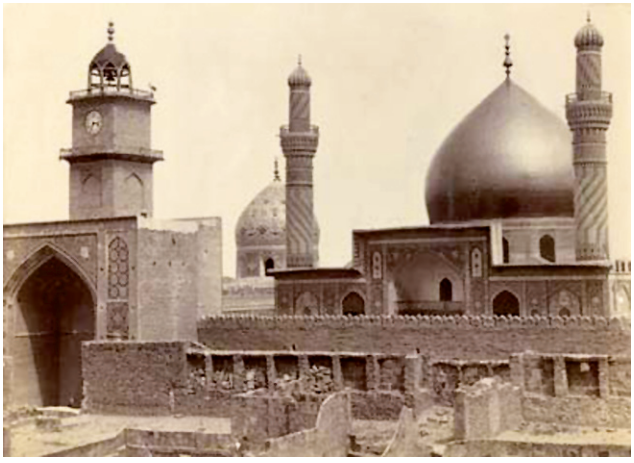

العتبة العسكرية مطلع القرن العشرين

لمرحلة غيبة الإمام المهديّ عليه السلام، فمن جملة وصاياه لشيعته ما نصّه:

«أُوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السّجود، وحُسن الجوار، فبهذا جاء محمّد صلى الله عليه وآله، صلّوا في عشائرهم واشهدوا جنائزَهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقَهم، فإنّ الرّجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه، وأدّى الأمانة، وحسَّن خُلُقَه مع النّاس، قيل: هذا شيعيّ فيَسُرُّني ذلك. اتقّوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرّوا إلينا كلّ مودّة، وادفعوا عنّا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل فينا من حَسنٍ فنحن أهله، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحن كذلك. لنا حقٌّ في كتاب الله، وقرابةٌ من رسول الله، وتطهيرٌ من الله

لا يدّعيه أحدٌ غيرنا إلاّ كذّاب. أَكْثِروا ذكرَ الله وذكرَ الموت، وتلاوةَ القرآن، والصّلاة على النّبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّ الصّلاة على رسول الله عشرُ حسنات. إحفظوا ما وصيّتكم به، وأستودعكم الله، وأقرأ عليكم السّلام».

وكان عليه السلام يشرح معنى الصّراط المستقيم فيقول: «...**الصّراط المستقيم هو صراطان: صراطٌ في الدّنيا وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصّراط المستقيم في الدّنيا فهو ما قصر عن الغلوّ، وارتفع عن التّقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطّريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم..**».

المصاعب والتّوازن النّفسيّ

عمل الإمام العسكريّ عليه السلام على توازن الإنسان النّفسيّ والروحيّ في زمنٍ كثُرت فيه المحن والمصائب، فإلى جانب الثورات الدّاخليّة وتمرّد قادة الجند والأمراء وانشغال الحكّام فيما بينهم بالمؤامرات، وتربّص الأعداء على الجبهة الخارجيّة، كانت البلاد تموج من فترة إلى أخرى بفعل الزّلازل والقحط والأوبئة، ففي سنة (٢٣٤ هجريّة/٨٤٨م) في عهد المتوكّل وكما ورد في كتاب (تاريخ الخلفاء) للسّيوطيّ: أنّه «هبّت ريحٌ بالعراق شديدة السّموم ولم يعهد مثلها، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين ودامت خمسين يوماً واتصلت بهمذان، وأحرقت الزرع والمواشي، واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت النّاس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطّرقات وأهلكت خلقاً عظيماً. وفي السّنة التي قبلها جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دُور وهلك تحتها خلقٌ وامتدّت إلى أنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها وإلى الموصل، فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفاً... وفي سنة اثنتين وأربعين [يقصد ٢٤٢ هجريّة] زُلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها والريّ وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان، وتقطّعت الجبال، وتشقّقت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشّقّ، ورُجمت قرية السّويداء بناحية مصر من السّماء... وفي سنة خمس وأربعين [٢٤٥ هجريّة] عمّت الزّلازل الدّنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر، وسمع الناس من السّماء أصواتاً هائلة، وزُلزلت مصر، وسمع أهل تلبيس من ناحية مصر صيحةً هائلةً فمات خلقٌ من أهل تلبيس وغارت عيون مكّة».

كان المتوكّل شديداً على خصومه، وتحديداً على الطّالبيّين، فلم يتورّع عن هدم مشهد الإمام الحسين عليه السّلام، حتى كتب أهل بغداد شتمَه على الحيطان والمساجد.

وجاء في (تاريخ البلدان) لليعقوبيّ: «...وأصابت الشّام كلّه زلازل حتى ذهبت اللاّذقيّة وجبلة، ومات عالَـمٌ من الناس، حتى خرج النّاس إلى الصّحراء، وأسلموا منازلهم وما فيها، واتصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥».

وفي أيّام الحكّام الذين أتوا بعد المتوكّل لم تكن الأوضاع أحسن حالاً، فقد كنت الفتن والاضطرابات تنتقل بين الحين والآخر، ففي عهد المعتمد العبّاسي الذي تولّى الحكم بين عامي ٢٥٦ و٢٧٩ هجريّة، - بحسب السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء - «دخلت الزّنج البصرة وأعمالها وأخربوها وبذلوا السّيف وأحرقوا وخرّبوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدّة وقعات، وأميرُ عسكره في أكثرها الموفّق أخوه، وأعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلّف عن الملاحم بالعراق، فمات خلقٌ لا يُحصَون، ثمّ أعقبه هدّات وزلازل فمات تحت الرّدم ألوف من النّاس، واستمرّ القتال مع الزنج من حين تولّى المعتمد سنة ست وخمسين إلى سنة سبعين [٢٥٦ إلى ٢٧٠ هجريّة] فقتل فيه رأس الزّنج "..." وفي سنة ستّين [٢٦٠ هجريّة] من أيّامه وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كرّ الحنطة في بغداد مائة وخمسين ديناراً».

الإمام العسكريّ عليه السلام: «ذُكر عند الصّادق عليه السّلام الجدال في الدّين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السّلام قد نَهوا عنه، فقال الصّادق عليه السّلام: لم يَنهَ عنه مطلقاً، لكنّه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن..».

وأمام كلّ هذه المصاعب والمحن التي ابتُلي بها المسلمون، كان الإمام العسكريّ، ومن قبله آبائه عليهم السلام، بلسمَ الرّوح وسفينةَ النّجاة، فكان يحاول ما أمكنه التخفيف عن النّاس، فحضّ على التّكافل الاجتماعيّ لأنّ مقدّرات الدّولة وأموالها العامّة كانت بيد الحكّام وحاشيتهم، ولم يكن قادراً على التّحرّك بحريّة، إذ أُودع السّجن غير مرّة. فكان يدعو النّاس إلى الثّبات أمام المصائب والصّبر، وإلى حسن عبادة الله تعالى.

موقفه من المشهد الثقافي في عصره

عندما تولّى المتوكّل الحكم، أمر بوقف الكلام في خلق القرآن كما

أمر بوقف المناظرات الكلاميّة التي سادت زمن المأمون العبّاسيّ، وشجّع الخط السّلفيّ، إن جاز التعبير، وجاء في تاريخ الخلفاء أنّه أظهر «الميل إلى السّنّة ونصر أهلها ورفع المحنة [خلق القرآن] وكتب بذلك إلى الآفاق، وذلك في سنة أربع وثلاثين [أي ٢٣٤ هجريّة]، واستقدم المحدّثين إلى سامرّا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم بأن يحدّثوا بأحاديث الصّفات والرّؤية. وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرّصافة فاجتمع إليه نحوٌ من ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضاً نحوٌ من ثلاثين ألف نفس...»، فقَوِيت شوكة المحدّثين وعلى رأسهم الحنابلة.

أما عقيدة الإماميّة في صفات الله تعالى، والتي تصدّى الإمام العسكريّ لتبيانها، فتتلخّص في ما قاله جدّه الإمام الرضا عليه السلام: «..**إنّ الخالق لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنّى يُوصف الخالق الذي تعجز الحواسُّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به؟! جلّ عمّا يصفُه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون..**».

وعندما سأله أبو هاشم - أحد أبرز حواريّي الإمام العسكري - قائلاً: خطر ببالي أنّ القرآن مخلوقٌ أم غير مخلوق؟ قال الإمام عليه السلام: «**يا أبا هاشم، اللهُ خالق كلّ شيء وما سواه مخلوق**».

وكان الإمام العسكريّ عليه السلام يُسأل عن الجدال في أمور الدّين، وأنّ بعض النّاس ظنوا أنّه محرّمٌ عليهم، فقال عليه السلام: «**ذُكِر عند الصّادق عليه السلام الجدال في الدّين، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصّادق عليه السلام: لم يَنهَ عنه مطلقاً، لكنّه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن**».

وكان يرى التصدّي للمشكّكين بالقرآن الكريم أو بأصل من أصول الدين وفروعه بالمنطق والحجّة، من ذلك ما روي أنّ «إسحاق الكنديّ - فيلسوف العراق في زمانه - أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك، وتفرّد به في منزله، وإنّ بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام فقال له أبو محمّد عليه السلام: **أما فيكم رجلٌ رشيد يردع أستاذكم الكنديّ فما أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟** فقال التلميذ: نحن من تلامذته، فكيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال أبو محمّد عليه السلام: **أتؤدّي إليه ما ألقيه إليك؟** قال: نعم، قال: **فَصِر إليه، وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك فقل: قد حضرتني مسألة أسالك عنها، فإنّه يستدعي ذلك منك، فقل له: إنْ أتاك هذا المتكلّم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مرادُه بما تكلّم به منه غير المعاني التي قد ظننتها أنّك ذهبت إليها؟ فإنّه سيقول إنّه من الجائز، لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعلّه قد أراد غير الذي ذهبتَ أنت إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه.** فصار الرّجل إلى الكنديّ وتلطّف إلى أن ألقى عليه هذه المسألة، فقال له: أعد عليّ! فأعاد عليه، فتفكّر في نفسه، ورأى ذلك مُحتَملاً في اللّغة، وسائغاً في النّظر. فقال: أقسمتُ عليك إلّا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنّه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك فقال: كلا، ما مثلُك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمّد، فقال: الآن جئتَ به، وما كان ليخرج مثلُ هذا إلا من ذلك البيت، ثمّ أنّه دعا بالنّار وأحرق جميع ما كان ألّفه».

حذّر الإمام عليه السلام من علماء السوء، فقال: «هم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السّلام وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السّوء "..." يُدخلون الشّك والشّبهة على ضعفاء شيعتنا فيُضلّونهم..».

وكان عليه السلام يجد أنّ علماء السّوء هم أكثر خطراً على المسلمين من جيش يزيد على الإمام الحسين عليه السلام، فَمَع هول مصيبة الإمام الحسين وأهل بيته عليه السلام، رأى الإمام العسكريّ أنّهم يشكّلون خطراً على أولئك الذين لا يملكون الحجّة والبيّنة للتصدّي لأفكارهم المسمومة، من هنا قال عليه السلام: «**هم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليهما السّلام وأصحابه، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السّوء "..." يُدخلون الشّك والشّبهة على ضعفاء شيعتنا فيُضلّونهم..**».